الثورة
الاثنين 6 ذو الحجة 1433هـ 22 أكتوبر 2012م العدد (17505)

متحف اليحيوي..

كنزٌ في أحضانِ الطبيعةِ البِكْر!!

استطلاع/ فايز البخاري

■ بعد نشر الملف الذي أعددته عن محافظة إب ومناضليها في الذكرى الخمسين لثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة والذي نُشرَ في صحيفتنا »الثورة« يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ من سبتمبر٢٠١٢ م جاءني الدكتور فضل باسلامة وطرحَ عليّ بعض الإضافات التي لم يسعفني الحظ والوقت لذكرها في ذلك الوقت ومنها عدم ذكر نبذة مطولة لأحد أعلام النضال الوطني البارزين وهو الشيخ الشاعر المناضل يحيى منصور بن نصر اليحيوي الذي لم أذكر رديف اسمه سوى أنّه كان أوّل وزير للزراعة في أول حكومة عقب قيام الثورة وعضو مجلس القيادة، فعرض عليّ باسلامة حين وجد لدي اللهفة في معرفة أية معلومات عن رموز النضال الوطني من أجل توثيقها للأجيال اللاحقة كأمانة تاريخية يجب علينا تأديتها. وقد اقترحَ عليّ زيارة منزل الشيخ يحيى منصور بن نصر في منطقة الصفة بمديرية ذي السفال للوقوف عن كثب على تراث هذا العَلَم الفُرادا في تاريخ النضال الوطني، والذي كان من أوائل المستنيرين في اليمن قاطبة، وهذا ما جعله يشغل منصب مندوب اليمن في الاتحاد العربي قبل قيام الثورة السبتمبرية عام١٩٦٠م والذي كان مكونا مصر واليمن وسوريا.

○○○

وفوراً أبديتُ موافقتي رغم يقيني من صعوبة الرحلة، فسارع هو بدوره بالاتصال بالشيخ عمر بن يحيى منصور بن نصر الذي أبدى ترحيبا كبيرا بالفكرة وتواعدنا إلى يوم الخميس الموافق٢٧ سبتمبر حيث التقينا في مركز مديرية السياني عند دار الحكومة الذي بناه والده عام ١٩٥٠م حين كان عاملاً لمديرية السياني (أي مدير مديرية) وهناك تركنا سيارتي المرسيدس لأنّها لا تستطيع المرور في طريق الجعاشن والعنسيين والصفة الوعرة التي لم يتم مسحها وصيانتها منذ أكثر من أربع سنوات ما جعلها أقرب إلى السائلة منها إلى الطريق، ولولا سيارات اللاند كرايزر ذات الدفع الرباعي ما استطاع إنسان تلك المناطق التواصل مع العالم الآخر إلّا بوسائل الاتصال البدائية كالحمير وغيرها التي مازال لها حضور كثيف في هذه المناطق بسبب غياب المشاريع الحكومية التي يقول الأهالي أنّ شيخها الشاعر المعروف بمدائحه الشهيرة للملوك والزعماء يقف حجر عثرة في طريقها في ظل تواطئ مقيت من السلطات التي لم توقف عبثه رغم الكتابات المتتالية والمستمرة عن مظالمه في كل الصحف والمواقع الالكترونية والقنوات الفضائية، والاعتصامات الكثيرة للمهجّرين من أبناء المنطقة والتي يعدها بعض الباحثين المقدمة الفعلية لثورة الشباب السلمية واللبنة الأولى التي آذنت بدء حياة التغيير الإيجابي الذي نعيشه اليوم عقب توقيع المبادرة الخليجية في٢٣نوفمبر عام ٢٠١١م.

الصحابي حِجر بن قيس

■ انطلقنا من مدينة القاعدة التابعة لمديرية ذي السفال محافظة إب عند الساعة الحادية عشرة ظهراً لنصل منزل/متحف اليحيوي عند الساعة الواحدة ظهراً، بعد أكثر من ساعتين من المعاناة في تلك الطريق الوعرة التي لم ينسنا وعورتَها سوى تلك المناظر الخلّابة ذات الطبيعة البِكْر التي توحي للزائر أنّه في جبال هولندا أو نيوزيلندا؛ حيث الغابات الكثيفة والغطاء النباتي الداكن التي تتخللها الينابيع والشلالات المتدفقة، مما جعل من المنطقة سمفونية طبيعية أجاد في إبداعها الخالق عز وجل كأفضل ما حبا به مكاناً على الوجود.

في الطريق إلى منزل الشيخ عمر يحيى منصور بن نصر مررنا بالقبّة التاريخية للصحابي المهاجر حجر بن قيس والذي دُفِن بمنطقة السهفنة مديرية ذي السفال، وبعدها عبرنا سيول سائلة الجعاشن المتدفقة على مدار العام والتي تبدو مع الوديان والهضاب الصخرية المحيطة بها كأبهى صورة ربّانية لم تتلطخ بعد بتدخّلات الإنسان العابث، اللّهُمّ من شجيرات القات. وقبل الوصول إلى متحف اليحيوي أطللنا على وادٍ يرتفع على هضبة بديعة تأخذ بمجامع الفؤاد يعلوها منزلٌ تاريخيٌ فخمٌ كانهو متحف اليحيوي وتلك منطقة (الصِفة) التي كانت وجهتنا وغايتنا ومقصدنا.

وعلى مشارف الصفة تراءت لنا جبال مذيخرة كأبهى ما تكون من الجهة الغربية، فيما كانت مدينة العدين بأوديتها الشهيرة المحيطة بها كوادي الدور وعَنّة على مرمى البصر من الجهة الشمالية والشمالية الغربية، أمّا جبل أصابح التابع لمديرية جبلة فقد ظل يرمقنا بعلوّه الباسق من الجهة الشمالية ليقول لنا على الدوام: ليسَ لكم مِن مفر!!

طبول مختلفة

■ عند عتبة باب دار/متحف اليحيوي المكوّن من ثلاثة طوابق كانت المفاجأة الأولى حيث واجهتنا المعروضات التاريخية والنادرة من أول خطوة خطوناها داخل ذلك المتحف الفريد، ففي الواجهة مباشرة عُلِّقَتْ عدد من الطبول المختلفة الأشكال والتسمية كالمَرفع والطبل والطاسة بأحجام متباينة ومواد متنوعة ومن عصور متباعدة، وإلى جوارها كانت هناك عدد من أثقالَ الموازينَ التي لم يعد لها وجود حتى في أعتق المتاحف اليمنية على الإطلاق. وهي متلاصقة مع بعض أدوات إصلاح وربط مواسير المياه التي اختفت من الأسواق من عقودٍ بعيدة. أمّا السلالم أو الدَّرَج فعلى جوانبها عُلِّقَت أواني جلدية لأسماء مازلنا نرددها ولم نعد نعرفَ شكلها كالزُعبَة المصنوعة من الجلد، وكذا أواني فخارية مع أغطيتها المعدنية القديمة كالجمنة والكعدة والزير والكوز والجرّة وغيرها. وتجاورها قطع نحاسية لفارغ طلقات المدافع الثقيلة وبعض الحصير.

في الصالات الواقعة بين غُرف الأدوار الثلاثة انتشرت المعروضات المتعددة والمختلفة المعروضة باتقان بالغ وتناسق بديع يوحي أنّك أمام جُهد جماعي لفريق أثري من موظفي المتاحف الوطنية الممارسين لا أمام جُهد فردي لشخص حباهُ الله بأنامل ذهبية وحس حضاريً وجمالي نادرٍ وفريد، وهو طباعُ متوارث لشيخ ينتمي لدوحة أسرَة كان لها مع الأدب والشعر المورّثين للجمال باعٌ طويل.

معروضات متناسقة

■ من أهم ما رصدته عدسة الكاميرا التي تُعتَبر أوّل كاميرا ترصد ذلك المخزون الحضاري والتراثي والنضالي الفريد، كانت الصور الكثيرة لعدد غير قليل من رجالات النضال الوطني ومشاهير اليمن وأقيالها، والذين لم يعد أحد يستطيع الحصول على صورة لهم حتى لدى أولادهم وورثتهم من أمثال الشيخ صالح مرشد المقالح والد الدكتور عبدالعزيز المقالح والأستاذ محمد مكي زكريا والد الدكتور حسن محمد مكي رئيس الوزراء الأسبق وصور نادرة للأستاذ أحمد محمد نعمان وشهيد الثورتين أحمد بن أحمد الكبسي والشيخ المناضل علي بن محسن باشا والشيخ محمد مصلح عبدالرب والشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وغيرهم.

كما تحوي معروضات الصور التي عُلِّقَت داخل لوحات زجاجية مغلقة – كما هو في كل المتاحف– والموزعة على كل الغُرف والطرقات بينها؛ صوراً قديمة ونادرة للمدن اليمنية كصنعاء وتعز وإب وحيس وجبلة، فضلاً عن صور لأبواب إب القديمة التي يُعتَبر الحصول عليها بحكم المستحيل. وكذا صور لبعض المشاريع الأولية في اليمن كافتتاح طريق الحديدة صنعاء الإسفلتي عام١٩٦١ م وأوّل سيارات دخلت اليمن. إضافة إلى صور لبعض البعثات الطلابية اليمنية في الخارج فترة الخمسينات وغيرها.

مقتنيات نادرة

■ ومن أهم –وإنْ كان كل شيء فيه مهم– ما حواهُ متحف اليحيوي عطورات وأسلحة قديمة ونادرة لم تعد متداولة كالبندق البشلي والجرمل القناصة والنبوت والسك ومسدسات ذات ماركات متنوعة وزمن متباعد وعطر حبشوش وغيره من العطورات ذات الماركات العالمية التي اشتهرت فترات واختفت من السوق المحلية قبل عقود. إضافة إلى جوازات سفر العهد الإمامي المباد كُتبَ عليها (المملكة المتوكلية اليمنية) وأخرى (الجمهوريةَ العربية اليمنية) أمّا الأواني والتماثيل والمجسّمات الفضية والنحاسية والزجاجية فقد كانت حاضرة بقوة في كل طوابق المتحف. فضلاً عن كأس مُهدى من السلطان العثماني للشيخ منصور بن نصر وهو صناعة فلسطينية وصحن صناعة تركية وعمرهما أكثر من قرن وعقد من الزمن.

آلة السينما القديمة كانت أيضاً حاضرة وبآلتين مختلفتين إلى جانب بعض النواظير أو الدرابيل الجيشية والمدنية التي لم يعد لمثلها وجود على الإطلاق. وكذا النظارات المتعددة ومشارب السجائر العثمانية والأوربية. فيما العُملات النحاسية والذهبية والفضية كان لها حيّز ليس بالقليل، حيث يعود بعضها إلى ما قبل الإسلام والبعض لعهد الدويلات المتعددة التي تعاقبت على حكم اليمن منذ بداية الإسلام إلى العهد الراهن. والجميل في كل ذلك أنها معروضة في بيئة طبيعية ومبنى هو نفسه جزء من التراث والتاريخ وعلى ربوة تجعل من المكان مصافاً سياحياً من طرازٍ فريد.

شخصيات وطنية

■ في أحدى الغُرف كانت هناك داخل خزنة كبيرة عدد من الدفاتر الصغيرة(نوتة) والمتوسطة والكبيرة التي تحوي مذكرات الشيخ يحيى منصور بن نصر منذ عقد الخمسينات وحتى وفاته عام١٩٨٤ م، وكان يُسجّل فيها بشكل يومي كل أعماله ومشاهداته وما يحصل على مستوى الوطن والعالم مما يصله خبره بحكم عمله وزيراً وسفيراً وعضو مجلس رئاسة وغيره من المناصب. وكونه عاصر أهم أحداث ومراحل النضال الوطني منذ الأربعينات حتى الثمانينات وكان أحد أهم الشخصيات الوطنية فإنّ مذكراته تعتبر من أهمِ الشهادات التي توثق لتلك المراحل وسوف تسد فراغاً كبيراً لايزال يعتور تاريخ الحركة النضالية في بلادنا، خاصة وأنّ المناضل والشاعر يحيى منصور بن نصر عُرِفَ عند كل المناضلين بسموّ الأخلاق والابتعاد عن الضَجيج أو الدخول بمهاترات مَن أي نوع كانت مع أي طرف أو شخص، ولهذا ظل محل إعجاب وتقدير الجميع حتى وفاته.

أسماء الولاة العثمانيين الذين تولّوا اليمن في مراحل الغزو العثماني المتعددة مع مَن يقابلهم من الأئمة الذين تزامنوا معهم في الحكم كانت هي مِن اللوحات المنتشرة على جدران المتحف مع تحديد تاريخ حُكم كل والٍ وإمام منهم، وتقع تلك الأسماء في أربع لوحات زجاجيّة ذاتَ براويز بديعة. ومثلها أسماء الحُكّام البريطانيين في عدن الذين حكموا منذ احتلال بريطانيا لعدن عام١٨٣٩ م وحتى يوم الجلاء في الـ ٣٠من نوفمبر١٩٦٧ م مع مُدّة كل حاكم. ويجاور تلك اللوحةَ لوحةٌ أخرى بأسماء رؤساء الحكومات اليمنية منذ قيام الثورة وحتى اليوم. وبجانبها لوحة بأسماء المحافظين الذين تولوا محافظة إب من ١٩٦٢م وحتى اليوم مع تحديد المُدّة.

صُحُف قديمة

■ صحيفة »سبأ« التي كانت تصدر في عهد الإمام وصحيفة »صوت اليمن« التي أصدرها أبو الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيري من عدن كانتا أيضاً من ضمن المقتنيات والمحتويات التي حواها المتحف اليحيوي. وتجاورها أعداد قديمة جداً من مجلة العربي الكويتية. ونُسخ نادرة من المخطوطات للقرآن الكريم والكتاب المقدس.

وشجرة الوَرْس النادرة ندرة الذهب كان لزهورها وثماره الثمينة اليابسة حضور في هذا المتحف الفريد، حيث عَمَدَ الشيخ عمر بن يحيى منصور بن نصر إلى زراعتها وعرضها على زائريه للحفاظ على هذه الشجرة الثمينة بعد أن أحس بالخطر الذي يتهدّدها نتيجة اختفائها من الكثير من المناطق التي كانت تزرع وتتواجد فيها بكثرة مثل منطقة سُمارة. وهو جُهد لا يخلو من تميُّز صاحبه بإحساس رفيع وحدس بديع.

لوحات أخرى حواها المتحف اليحيوي اشتملت على صور للثلاثة العسكر الذين أرسلَهم ولي العهد أحمد يحيى حميدالدين لقتل الملك عبدالعزيز عام١٩٣٥ م في موسم الحج، وقد فشلوا في قتل الملك عبدالعزيز لكنّهم جرحوا الملك سعود –وكان حينها ولـيّ العهد– وقتلوا العبد المرافق لهما وتم القبض عليهم وقتْلهم ثم صلْبهم على نقّالات، والصورة لهم بعد القتل وخلفهم بعض الجنود السعوديين. وقد ذكر اليحيوي أسماءهم التي أغفلتها كتب التاريخ وهم: علي بن علي الحاظري وأخوه صالح علي الحاظري وابن عمهما مبخوت بن مبخوت الحاظري، وهم من حاشد.

مجهود ذاتي

■ هذه هي بعض الانطباعات الأولى التي أسعفتني الذاكرة لتسطيرها بعد تزاحم الخواطر التي جاشت بها نفسي وضجّ بهَا ذهني الذي لم تفارقه بعدُ تلك المشاهد لتلك المحتويات الفريدة والنادرة ندرة معدن صاحب المتحف الذي كان نُبْل خُلقِهِ وحُسْنُ طبعِهِ في كفّة وما حواهُ متحفُهُ بكفّة أُخرى.

وأتمنى أنْ تسعفَني الأيّام بزيارة أُخرى أستطيع من خلالها أنْ أكمل مشوار التعرُّف على كل خبايا هذا المتحف النادر– وهي كثيرة– لأنّ وقت الزيارة الأولي كان قصيراً ولم يتم الاستعداد المناسب لها. والحق أنّي لم أكن أتوقع أن أجد متحفاً بذلك الشكل وتلك العظمة يحويه منزلٌ في أقاصي الريف اليمني وبمجهود فردي.

وهنا أوجّه دعوةً لكل الإعلاميين والصحفيين والمهتمين بتوثيق التراث ومشاهدة الأشياء النادرة لزيارة هذا المتحف الذي لا يماثله متحفٌ في أي مكانٍ على وجهِ البسيطة.

faiz.faiz619@gmail.com